شكوى الغربة الزمكانية في شعر عذري بني امية

أ.م.د رافعة سعيد السراج سكرة علي ابراهيم *

تاريخ التقديم: 2007/4/18 تاريخ القبول: 2007/8/26

المقدمـــة

الشكوى من الغربة:

في كل العصور يقترن الزمان والمكان ليكونا فكرتين تتصلان مع بعضهما اتصالا جدلياً، ليعبر عنهما الحدث وهذه العلاقة الجدلية أفرزت مفهوما أطلق عليه الزمكانية، ودراسة أية ظاهرة لا يمكن أن تدرس بمعزل عن هذه الزمكانية وهي ثنائية متلاحمة مقترنة عبر عنها من خلال شكوى الشعراء العذريين في العصر الأموي وهم يبثون اغترابهم ليعبر عن الصراع الداخلي بين الشاعر والانفعالات الذاتية وعدم انسجامها مع الواقع الخارجي. هذه هي الفكرة التي استمد منها البحث مادته.

كل إنسان لابد أن يعيش حياة الغربة والاغتراب، ويعانيها مهما كان جنسه وطبقته، وعمره لذلك يتحتم علينا أن نعرف ما الغربة ؟، وما الاغتراب ؟ لكي نستطيع أن نعرف أثر كل منهما على الإنسان بصورة عامة والشاعر بصورة خاصة.

أكد ابن منظور أن الغُربة، والغُرْب، النزوح عن الوطن والاغتراب التنحي عن الناس والابتعاد عنهم، وغَرُبَ بَعُدَ، والتغريب، النفي عن البلد، والغربة الاسم من الاغتراب، والغريب من ليس من القوم، و الجمع غرباء والأنثى غريبة[1] .

---

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة الموصل.

(1) ينظر: لسان العرب/ مادة (غرب) ؛ المعجم الوسيط/ مادة غرب ؛ القاموس المحيط/ مادة غرب .

في حين أكدت المعاجم الحديثة أن الغربة، عاطفة تستولي على المرء بابتعاده عن ديار الأحبة فيعبر عن مشاعره بصورة أخيلة، ومعان، تختلف جودةً وعمقاً ... أو الشعور بأن العالم سجن أُقحم فيه المرء مرغما، فكبله بقيود فيحس أنه غريب بين مواطنه وأهله [1] .

والاغتراب حالة شعورية تختلف عن الغربة، ذلك أن الشعور بالغربة ناتج عن انتقال الإنسان من مكان إقامته الأصلي إلى مكان يختلف عنه غريب عليه، والاغتراب شعور بالغربة يكون احياناً جرّاء الظلم والحنين الذي يتعرض له الإنسان نتيجة لأسباب نفسية واجتماعية [2] ، و الظروف الشخصية الداخلية في الإنسان والاجتماعية المحيطة، لها الدور الأول و الفاعل في خلق الغربة والاغتراب (والاغتراب هو الحالة (السايكواجتماعية) التي تسيطر على الفرد سيطرة تامة تجعله غريبا، وبعيدا عن نواحي واقعة الاجتماعي)[3] .

وهو إحساس بحالة استلاب، فالفرد عندما يحس أنه مستلب يشعر بالغربة، فقد يسلب منه المكان والزمان والمشاعر، و الإرادة، فيصبح مغتربا، فهو إذاً شعور ينتاب الفرد ويجعله غير قادر على تغيير الوضع الاجتماعي – وعندما لا يستطيع تغييره يلجأ إلى الشكوى[4].

ومن أجل ذلك فـإنّ الاغتراب لم يحدد بمصطلح معين، و إنما بمجموعة مفاهيم من الحياة منها، الاجتماعي، والسياسي، والذاتي، حيث يجعل لكل مفهوم تعريفلًايختلف حسب مجاله في الحياة [5] .

---

(1) ينظر: المعجم الأدبي: جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 186/1979.

(2) ينظر : المكان في شعر صدر الإسلام/ فنن نديم دحام، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2000 /70.

(3) معجم علم الاجتماع / البروفيسور دينكن ميشيل، ترجمة د. إحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، 20/1980.

(4) الشكوى في الشعر النسوي العراقي الحديث (1938–2000) دراسة موضوعية فنية نجاة علوان الكناني، رسالة ماجستير ، كلية التربية، جامعة بابل، 22/2002.

(5) ينظر: الاغتراب الاجتماعي في شعر صدر الإسلام/9 .

والاغتراب الذي يكون الأقرب إلى موضوعنا هو الاغتراب الاجتماعي فيمكن بأن نقول بأنه(الشعور بالاختلاف بصورة تبعث على التوتر من وجود الآخرين بسبب نظر المرء أو اهتماماته أو ذوقه الشخصي) [1] . وهو أيضاً (وضع يختلط فيه على المرء ما يشعر به حقا وما يحبه وما يرفضه)[2] .

نخلص من هنا إلى أ ن الغربة مفهوم يولده الابتعاد عن المكان، أو عن الزمان أو عن نفوس الآخرين، والاغتراب هو الشعور المتولد عن الانفصال عن الآخرين جراء عوامل متعددة كالسياسية، والدينية ، والذاتية، والاجتماعية، فعند مواجهة الإنسان أياً من الظروف المتقدمة، و هو في حالة عجز عن المواجهة أو الوقوف أمامها، وعلى أية حال فالغربة تولد إحساساً بالم رارة لأنها تتصل بعجز الإنسان أمام القوى القاهرة)[3].

وهذا الإحساس المأساوي يتجسد عبر تشكيلات فنية تصور الآلام الناجمة عن الصراع القائم داخل الذات أو المجتمع الجديد، وتمثلت الشكوى الناجمة عن الغربة في الشعر العذري في الجوانب آلاتية:

1. الغربة المكانية.
2. الغربة الزمانية.

الغربة المكانية:

الدنيا (وجود/ عدم) ثنائيات تتسم كل الخلائق فيها، فإذا كان الوجود قابله العدم، وإذا لم يكن الأول لا يكن الثاني والعكس صحيح، ولا يعرف المعنى لشي ء إلا بوجود الضد.

والوجود مقترن بمكان يقوم عليه، فكل حدث لا يحدث في فراغ، وإنما يشغل مكاناً، ويقترن بزمان، وهو الأساس الذي يرتكز عليه العمل الأدبي بأنواعه كافة خاصة عندما يكون معبرا عن الهموم الإنسانية ، بكل مجالاتها الحسية

---

(1) الاغتراب/ رتشارد شاخت، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات العليا، بيروت، ط1، 1980/ 216 .

(2) المصدر نفسه/ 201.

(3) قضايا حول الشعر/ د. عبدة بدوي ، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، 1986 /86.

والذهنية، ومن أجل ذلك يقتسم (حياة الإنسان محوران هما، المكان الذي ترتبط به الهموم الحسية، والزمان الذي تقترن به اله م وم الذهنية، و بين المحورين تمتد الحياة واسعة عريضة، فإذا تناولنا المكان فإنّ ذلك لا يعفينا من أثر الاقتران بين المحورين (الزمان والمكان من جهة و بين المكان و هموم الشاعر من جهة أخرى)[1] .

و لما كان للمكان أهميته، وأثرهفي حياة الشاعر العذري، من هنا قامت علاقات ثنائية جدلية بين المكان وساكنيها لأننا نعلم أن هناك عملية تأثر وتأثير، اخذ وعطاء، وصال وهجر، بكاء وفرح، يأس وأمل.

والمكان عند الشاعر مبعث الحنين والحسرات و الآهات و محرك للشعور، لذا فإن الحنين (هو الشوق و توقان النفس)[2] ، والحنين إلى الوطن، هو الشوق إلى المكان و ما تركه في نفسه من اثر، وعلاقة ارتباط، فالأرض هي ألأم التي يحن إليها الإنسان و تحتضنه إذا ما قذفت به الأهوال و المصائب إليها عندما يتحول إلى جثة هامدة.

ولا يقتصر الحنين عند الإنسان فقط بل يتعداه إلى من هو أكثر حنينا، ألا وهي الإبل بصورة خاصة، والحيوانات الأخرى بصورة عامة، فكل إنسان يحن إلى موطنه ومرتعه ولكن الإبل تفوقهبالحنين عندما تشتاق معاطنها، فالحنين غ ريزة ولدت مع الخلائق والحنين إلى الوطن تولده حالة الإحساس بالغربة ف هو تجربة إنسانية صعبه، لأن الإنسان عندما يفارق أرضه وأهله يعمد إلى وضع نفسه في امتحان صعب لمشاعره، حيث يرحل عن ملاعب صباه و مزارات أحبته، مما يولد فيه اشد حالات الشعور بالظلم و الحيف، فنراه يشكو ويئن شوقا وحنينا إلى تلك الملاعب [3].

(1) ظاهرة الشكوى في شعر هذيل/57.
(2) المكان في شعر صدر الإسلام/71.
(3) المكان في شعر صدر الإسلام/71.

والشاعر العذري يحن شوقا إلى أحبته و أيامه التي قضاها بجوارهم، إذ نجد الطبيعة تتبعث في نفس قيس ليلى ويشتاق إلى أحبته، لأنها تمثل له الحبيبة بطهارتها وعفتها، فيندمج معها، ويشمها[1]، ويقبلها لاحباً بها وإنما حبا بمن كان يسكنها، و كان كلما اشتد شوقه، وه يمّته المنازل، يمر عليها و يقبلها، و ي شمّ ترابها و يبكي على من كان يسكنها فيقول[2] :

أمرّ على الدّيارِ ديار ليلى أقبلُ ذا الجدار و ذا الجدار ا

و ما حب الديار شغفن قلبي ولكن حبَ من سكن الدّيارا

يرسم لنا الشاعر بمشاعره الجياشة العميقة أروع صورة شعرية تكثر فيها الحركة والاضطراب (فهي صورة حركية) تجسدت لنا من خلال الألفاظ التي تشير إلى تنقل الشاعر من جدار إلى آخر، يقبل هذا و يذهب إلى آخر.

إن تكرار كلمة الديار والجدار، أكثر فيه من تكرار حرف ين (الراء والدال) فضلا عن حرف (الياء)، الذي يدل على السكون، ثم إنها إذا ما جمعت تكون الفعل (ر ، د، ي)، وهو ما يتمناه الشاعر و ينادي حبيبته بان ترد الى هذه الديار التي هجرتها، فهو يؤكد على ديار الحبيبة، و الديار تعني المواطن (المسكن) الذي عاش فيه الشاعر الذّ الأيام، وأسعدها في حياته، والوطن رمز الحياة، بل هو الحياة، لأنه مركز للتداني والاجتماع، والوصل واللقاء، والغربة، رمز الموت والكآبة والفناء[3]، وتكرار الألفاظ والعبارات له هدفه الخاص في نفس الشاعر، و يقصد من ورائه غرضا يفهم من السياق، ومن ظروف الشاعر، فالعبارة والكلمة التي يكررها الشاعر (تؤدي الى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية ... و يجعله يستغني به عن عناء الإفصاح المباشر، وإخبار القارئ

(1) ينظر: المكان عند شعراء الغزل العذري/ بشائر أمير عبد السادة، رسالة ماجستير، كلية التربية – جامعة بابل، تشرين الأول –65/2003.

(2) الديوان/170 .

(3) قضايا حول الشعر/الهامش/ 82 .

بالألفاظ عن مدى كثافة الذروة الع اطفية)[1] ، فإذا أراد المجنون أن ينّفس عن ضيق في صدره، كرر ذكر (الديار وجدرانها، والحب و ليلى) لأن الكيل طفح عنده، فقرن ليلى بالديار، وخلع على الديار صفات المعشوقة فتساوت في نفسه، فكنى عن ليلى بالديار حيث يريد تقبيلها، فالفعل (أُقبّل) قرينه تدل على أن الديار هي بمقام ليلى، فالتقبيل والقبلة التي يحلم بها لا تكون إلا لإنسان، فالديار هنا هي المعادل الموضوعي لليلى.

وقد أكثر الشاعر من أصوات المد الطويلة الهادئة، و خاصة (الألف الساكنة) والتي تدل على صبر الشاعر ونفسه الطويل فأضفى على النص إيقاعا داخليا، فضلا عن الإيقاع الخارجي المتناسق معه والمتمثل بحرف الروي المطلق والذي يعبر عن حسرته وشكواه الموجعة، وطول أناته الحزينة.

وممن شحط به النوى، وبعدت عنه الدار قيس لبنى، حيث يقول[2]:

إن تكُ لبنى قد أتى دون قُربِها حجابٌ منيعٌ ما إليه سبيلُ

ف إنّ نسيمَ الجوِّ يجمع بيننا ونُبصرُ قَرن الشمس حين تزولُ

و أرواحنا بالليل في الحيّ تلتقي و نعلم انا بالنهار نَقيلُ

و تجمعنا الأرضُ القرارُ وفوقنا سماء نرى فيها النجومَ تجولُ

فالشاعر يشكو الغربة المكانية، وبعد المسافة لأنه مع ذلك البعد لا يحس بغربة نفسية أو اغتراب، لأن روحه تلتقي مع روح لبنى، وفي الليل تلتقي الأرواح، والروح (مفهوم عذري) إذ يؤكد اللقاء الروحي دون الجسدي بعيدي عن تشخيص الحواس، كما أن غروب الشمس الذي يطالعانه، يهيج شوقهما، وآلامهما، و يوحي لهما بالوداع، والنهاية، فيحدد الشاعر الزمان، وهو (الليل) والمكان هو (الحي)، مع أن كلا منهما يعيش في جانب من الأرض بعيدا عن الآخر، ويشير إلى أنهما يقيلان في وسط النهار، وهذه القيلولة ليست عن راحة وأمان، و إنما يأملان طيفاً

(4) قضايا الشعر المعاصر/ نازك الملائكة ، مكتبة النهضة، بغداد، ط2، 253/1965.

(1) قيس و لبنى/140

لعله يزورهما في المنام، أو تعرض له ما رؤية حيث تجمعهم ا الأرض المستقرة فهذه الحالة يمكن التعبير عنها باندماج الأرواح فيما بينهما فتحس كل روح بحركات وهمسات الروح الثانية (فالشاعر الذي فارق حبيبته مرغما، يُسلي النفس بلقاء الروح، مرتم ياً في أحضان الطبيعة، مستعينا بالنسيم الذي يجمع بينهما، والشمس التي يبصرانها، والليل حيث تلتقي الأرواح، والنهار ...والأرض ..... والسماء ..... والنجوم "[1].

وهذه الطبيعة هي ملاذ الشاعر، و أُمه التي تأويه في غربته و تؤنسه في وحشته، فهي (ملاذ للشاعر، ومهرب من الواقع، عندما يشت تأزمه، وهي في مثل هذه الحالة تصبح عالما مثاليا يسوده الهدوء وتسحب عليه الدعة، ليس فيه الضوء والصفاء والحب، ترى فيه شفافية الروح بوصفها معادلا مثاليا لما يفقده الشاعر عندما تثقل قلبه المرارة، ويسطر عليه شعور بالكآبة نتيجة الصورة المشوهة في المجتمع الذي يعيش فيه) [2].

ولجوء الشاعر إلى الطبيعة ومفرداتها للتغلب على الصعاب ومنها بعد المسافة بينه وبين لبنى، فيختلق هذه التعليلات، فيستهين بالمسافة التي تفصل بينه وبين حبيبته، والتغلب على الوجد القاتل وألم الفراق، وذلك لا يكون إلا لشدة تعلقه بها وعشقه لها، وطلبه إيّاها، فلم يمنعه بعد المسافة عنها، لان الأرواح متلاحمة، لذلك (نجد أن هدفهم الأساسي هو التعبير عن العاطفة، وعن الحرمان الملازم لها، لا التعبير عن المرأة التي هي هدف العاطفة و مجالها، فشعرهم يهتم بالروح أكثر مما يهتم بالصورة الجسدية، لذلك لا تظهر فيه المرأة كثيراً، فمدار التعبير فيه على تباريح العشق و آلامه)[3] ، و(المسافة/ المكان) عدو واضح للشاعر، يتغلب عليه

---

(1) البناء الفني لشعر الحب العذري/199.

(2) التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل + د. مصطفى السعدني الإسكندرية (د.ت)/57.

(3) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري + د. علي البطل، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط1، 1980/107.

فيصبح مصدرا لتصورات خياله، وزيادة حدة الترقب، والشوق والهاب نار العشق مما يتجه به الشاعر في طريق الحب العذري[1].

استطاع الشاعر في النص المتقدم أن يكون مجيدا في اختيار ألفاظه وعباراته، فألفاظه واضحة المعنى، موحية تتحمل معاني ودلالات كقوله: (نبصر قرن الشمس، حين تزول، النجوم تجول)، (فالفهم في إطار اللغة الوضعية هو إدراك معنى شفرة المتكلم في سياقها الذاتي أما العلم في إطار هذه اللغة، فهو إدراك المعاني و الدلالات المتعددة التي يمكن إن تحتملها الشفرة)[2] ، و هذا ما يتناوله أصحاب المنهج البنيوي حيث تحتمل الشفرة الواحدة مستويات دلالية متعددة، صوتية ومعجمية وتركيبية ونحوية وبلاغية، وقد تحتمل مستويات أخرى.

ونجد شعر جميل بثينة كان وقفا على ذكرياتها ، مما يتبعه ذكر الأطلال والديار، لأنه يعود إلى الحياة العربية البدوية و طبيعتها التي تستلزم الرحيل والانتقال من مكان إلى آخر ، فتجعل الشاعر يقف على المنازل، ويتمنى عودة أيامه، ويبكي إذ يأخذه الحنين إليها بهذه المنازل وتلك الديار، وجميل بثينه، لا يخرج شعره عن هذه الدائرة الا القليل، فمرة يقف على المنازل فتهيج أطرابه ولا تجيبه لأنها مقفرة، تلوح كسطور الكتاب، أو كالوشم على اليد، فهو يبكي ويذكر أيام بثينة التي ذهبت وذكريات شبابه[3] التي ذهبت معها، فيشكو المكان فيقول [4] :

إنّ المنازلَ هَيَجَتْ أطْرابِي واستعجمتْ آياتها بجوابي

قَفْرٌ تلوح بذي اللُّجينِ كأنها أنضاءُ وشمٍ أو سطور كتاب

---

(4) ينظر: الزمان و المكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي و شعره: 285/1

(1) فلسفة التأويل – دراسة في تأويل القرآن عند ابن عربي + د.نصر حامد أبو زيد، دار التنوير، بيروت، 285/1983.

(2) ينظر: الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي + محمد إبراهيم حور، دار العالم العربي– القاهرة –118/1973.

(3) الديوان/31–32 .

لمّا وقفت بها القلو صَ تَبادرتْ مني الدموعُ لفُرقةِ الأحباب

وذكرتُ عصراً يا بثينةُ شاقني إذ فاتني، وذكرتُ شَرخَ شبابي [1]

فالأطلال لها وقع في نفس العذريين يختلف عن غيرهم من الشعراء، فهي تعني،

فالعذريون (طائفة من الشعراء تغنوا في شعرهم بهذا الحب، وصوروا فيه نفوسا اكتوت بناره، و ثبتت عليه، و أخلصت فيه ولم يكن رائدها فيه قضاء شهوة أو ظفر بلذةٍ وإنما كانت تكتفي منه بالوصل البريء)[2] والإقفار هو الذي يبعث فيهم الشعور النفسي الداخلي الذي يجعلهم يحسون بالقهر المفروض عليهم فيكون شعوراً دائماً، وفقداً دائماً في وجدان الشاعر نفسه، فلا يحس بأمل يؤمله بان يخلفه وراءه أو يتطلع إلى حياة جديدة آهلة، لكي يعود إليه يوما فيبكيه على سبيل الوفاء و الذكرى، كما يفعل الشاعر الجاهلي، فالطلل عند الشاعر العذري إذاً (طلل نفسي) أي يشير عند الأقدمين إلى الموت، لكنه عند الشاعر العذري وفي جميع العصور يرمز إلى وقت سعيد وصحبة جميلة نعم بها الشاعر في ذلك المكان [3]، فيبعث فيه الحياة من خلال رموزها كالأمطار والرياح والوشم والآثار. و اللجوء إلى الطلل هروب من الحاضر المؤلم إلى الماضي السعيد عن طريق التذكر وإشغال الذاكرة، ففكرة التذكر تنظر إلى موضوع الحب على أنه شيء قد كان وفقد في عالم علوي، وعليها (أي النفس) أن تشتاق إلى هذا الماضي البعيد، والحب تبعا لهذا، الحنين إلى ما كان، وليس تحصيلا لجديد يتحقق به أمكان لم يتحقق بعد[4].

---

(1) شرخ الشباب: أول نضارته و قوته .

(2) الحب العذري نشأته وتطوره/57 .

(3) ينظر: في الشعر الإسلامي والأموي/103 .

(4) ينظر: الزمان الوجودي/167 .

فالمكان متعلق أساسي بهذا الحب، فإذا كان هكذا فلن صورة المكان الجيد تعد منطلقا لبناء فضاء النص إذا كان المكان أساسياً [1]. أو كعنصر من عناصره، (والمكان الذي كان الوعاء الذي يحوي لنا الأحداث – أصبح جزءا من الحدث ..... فهو وسيلة لا غاية تشكيلية، و لكنها وسيلة فاعلة في الحدث، ووسيلة محتوية على تاريخية الحدث)[2] ، وهذه الوسيلة فيها وقع الحدث وتفاعلت عناصرها معه، فلكل منها ذكرى تعيد است ذكاره لذلك أصبحت جزءاً متفاعلاً مع الحدث، (لذ تبرز جمالية المكان من خلال التفاعل بين الإنسان والمكان) [3]، والإنسان يضفي عليه معالم الحياة لحركته بين أجزائه ، و تبرز هنا ثنائيات (الحركة/ السكون، الحياة/ الموت، الجمال/ القب ح) فجمال كل جزء من المتناقضات يكون بوجود الجزء الآخر، فلا جمال ولا معنى للحركة دون السكون، وجمال الحياة وطبيعتها نتذوقه لأن بعدها موت، ولولا القبح لما أحسسنا بالجمال.

والغربة مرارة عندما تمر أقسى اللحظات بالغريب، حيث يقابل أناسا غريبين عنه خارج الوطن، وجوهاً لا تعرفهولا تفهمه، لا يستطيع أن يلجا إليها في شكواه أو حاجته أو مرضه، ولا يطمئن إليها في قلقه و اضطرابه، فيجبره ذلك على الشكوى من ذلك الوضع المفروض عليه[4].

والأمر في ذلك شكوى العذري الذي يمر على المكان حيث كانت تسكنه المعشوقة ولا يستطيع اجتيازه دون أن يعرّج قلوصه عليه، نازعة نفسه ومشوقة إلى من كان يسكن تلك الديار التي عفا عليها الزمان، و أصبح سكانها بعيدين عن دياره فيطلب من القلب أن يستعيد ذكريات هواه من هذه الديار، و العين تذر ف

(1) ينظر: مقدمة دراسة المكان في العمل الروائي/ أحمد زياد محبك، مجلة البحرين الثقافية 24/ 110/2000 .

(2) الرواية و المكان/ ياسين النصير ، الموسوعة الصغيرة، العدد 195، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 18/1986.

(3) غائب طعمة فرمان روائيا/155.

(4) ينظر الشكوى في الشعر النسوي العراقي الحديث/23.

دموعها على عيش طاب وانقضى في ذلك المكان، وهنا جانب نفسي هو ارتباط ذرف الدموع بذكريات الهوى، لأنه لا يستطيع إعادتها، فهو مستلب و ليس بيده حيله إلا الشكوى و ذرف الدموع، و جانب آخر في البكاء على الماضي والذكريات هو رفض الحاضر و عدم تقبله و الاستئناس بالماضي سواء كان حلواً أم مرا، فانه أجمل من الحاضر، و هذه الظاهرة سببها ان الماضي انقضى وانتهت قيوده عن الشاعر، أما الحاضر فـأنه يضيق الخناق عليه بقيوده القبلية والدينية والاجتماعية.

فالمكان القديم يثير عند الشعراء العذريين شجو الحزن في أنفسهم ويذكرهم بأيام الصبا والشباب، أيام السعادة والبراءة والعيش الصافي الذي لا تشوبه الخيانة أو الخداع، و الشاعر عندما يقف على الأماكن والقفار التي كانت مكانا للحبيب، تحرك فيه الشوق و الحنين إلى الحبيبة و ماضيها السعيد، ومن أبيات (جميل) نشعر بالعلاقة العميقة بين الشاعر والمكان، فهو يمثل له الحب والشباب، وكلاهما حياة وسعادة، فينقل ما أثارته رؤية هذه ألاماكن في نفسه من شعور وما حل به جرّاء تحرك ذلك الشعور في داخله من كوامن الشوق والحنين إلى حبيبته، فيناجيها لعلها تجيبه، فإخراج المكان من إطاره العام كمكان إلى إطار خاص له وقع عند الشاعر، و يرتبط بأحبابه الذين رحلوا، وشبابه الذي لا يعود [1]، فحول الديار من (طبيعتها المحسوسة المعاينة إلى طبيعة الهامية يتأمل فيها الشاعر بعض ذكرياته، ويعكس هذا التأمل في صياغة إبداعية لموقف من أندر المواقف في حياته)[2].

فالمكان الذي عليه الشاعر لم يكن مجردا كمكان حسب، وإنما مقترن بزمان لكي تثبت أهميته المكانية، وهذا الإحساس بالزمن م تأتٍ من الترابط

(1) ينظر: المكان عند شعراء الغزل العذري في العصر الأموي + بشائر أمير عبد السادة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، تشرين الثاني 84/2003 .

(2) قراءة ثانية في شعر أمريء القيس الوقوف على الطلل + محمد عبد المطلب مصطفى، مجلة فصول، القاهرة، العدد الثاني –154/1984.

الحاصل بين الصور المتنوعة المختلفة المستويات، التي سيطرت على الشاعر و نقلته من زمن إلى آخر[1].

وكثرة الحنين إلى الماضي والديار القديمة، ما هو إلا (هروب من مطاردة الزمن له عندما كبر)[2] ورجوعه إلى الأطلال والقفار رجوع إلى الحياة الماضية، محاولا أن يستبطن (وصفا منسيا بعيدا في أعماقه يعيد له ذكريات الطفولة)[3]، والشباب، ويريد الشاعر أن يبقى متمسكا بوهج السعادة باستعادة الذكريات.

وهنا تبرز ثنائيات (الماضي/ الحاضر، سلا/ راجع، ذرف الدمع/ تركه، مصيف/ مربع) حيث قال كثير عزّه[4]:

خليليَّ عوجا منْكُما ساعةً معي على الرَّبعِ نَقْضِ حاجةً ونودِّعِ
ولا تُعجلاني أنْ أُلِمَّ بِدِمْنَةٍ لعزَّةَ لاحَتْ لي ببيداءَ بلقعِ
وقولا لقلبٍ قد سلا راجِعِ الهوى وللعينِ أذري من دموعكِ أو دعي
فلا عيشَ إلا مثلُ عيشٍ مضى لنا مصيفاً أقمنا فيه من بعد مَرْبعِ

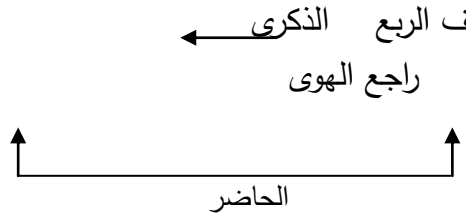

(1) ينظر: مفهوم الزمن عند الطفل + سيد محمد غنيم، مجلة عالم الفكر، الكويت المجلد الثامن، العدد الثاني –74/1977.

(2) بناء الزمن في الرواية المعاصرة + مراد عبد الرحمن مبروك، الهيئة العامة للكتاب (د .ت)/167 .

(3) نقد الشعر في الم‌نظور النفسي + د. ريكان إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 195/1989 .

(4) الديوان/410.

لا يخفى ما في النص من إيقاع داخلي وموسيقى متناغمة ومتلاحمة مع الإيقاع الخارجي للنص، لتؤدي المعنى الذي يرمي إليه الشاعر ليوصله الى ذهن المتلقي، و الشاعر في النص المتقدم أكثر من تكرار صوت (العين) وهو من الأصوات القوية ذات الوقع المؤثر في النص، و تكرار هذا الصوت مت أتٍ من كونه يشكل جزءا من ألفاظ مهمة في حياة الشاعر العذري أولها (عذري) فهو أول حرف من هذه الكلمة التي تؤكد عفتهم و صدق مشاعرهم، وكذلك (عزة – عيش – عوجا رجوع – دمع – عين) وأن اسم هذا الصوت هو بؤرة الموضوع فهي التي ترى فتعشق، و إذا ودعت و اشتاقت ذرفت الدموع، فـيحدث ترددد إيقاعا يعكس الإثارة النفسية للمتكلم لأن (الإيقاع الداخلي للألفاظ و الجو الموسيقي الذي يحدثه عند النطق به يعد من أهم المنبهات المثيرة للانفعالات الخاصة المناسبة، كما أن له إيحاءً نفسيا خاصا لدى مخيلة المتلقي و المتكلم على السواء)[1]، فيحدث الاندماج و التفاعل بين النص والمتلقي لأن الجرس الموسيقي يفسر الحالة النفسية التي يعانيها الشاعر العذري.

فالمكان يهّيج الذكرى التي عفاها زمان قد انقضى بكل همومه و آهاته (وهذا الزمان ال غدار ، له أيادٍ تطال الناس جميعا بصروفها ومتاعبها، فتحيل أحوالهم، وتقلبها رأسا على عقب)[2]، فتكون سطوة الزمان على المكان ومن فيه، سطوة لا ترحم ولا تعف.

والطلل الذي عاج عليه الشاعر اتخذ منه بؤرة لإشعاعات إيحائية، واتخذ منه طرقاً غير مباشر للتعبير عما في نفسه، فهو طلل نفسي يحس به و يعاني منه فكان (رمزا لعواطف إنسانية وفردية عميقة)[3]، فقد يكون هذا الطلل رمزا للحبيبه، فهو يتمنى إن يعرج عليها ساعةً كي يبث إليها شكواه، ويبل منها صداه، ويكون خطابه جماعياً إشارة إلى اجتماع الهموم عليه، فيريد أن يشكو حالهإلى

(1) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/ د. مجيد عبد الحميد ناجي مطبعة المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، 41/1984.

(2) تجربة السجن في الشعر الأندلسي/ 176.

(3) فن الشعر/ أرسطو/ 200

حبيبته التي رمز إليها بالربع (الطلل)، ولا نجد عند العذريين انفصال المقدمة الطللية، عن القصيدة لأنها جزء منها و تتناسب مع تجربة الشاعر العذري القائمة على الشوق و الحنين و التذكر، فتلتحم معها التحاما عضويا[1].

والشكوى من المكان مقترنه بالزمن، و لها أثار في نفس المغترب مما جعله يشكو و ينعزل عن المجتمع، و مثال ذلك ما ظهر على مجنون ليلى في انعزاله عن تقاليد مجتمعه المحافظ وانفصاله عن طبيع ة المجتمع مما دفعه ذلك الى مؤانسة وحوش الصحراء وحيواناتها ففضل العيش معها بعيدا عن الوحدة الاجتماعية المتمثلة بالقبيلة ، وهذه نظرة (سيكولوجية) تفسر النفي الذي اختاره المجنون لنفسه على الرغم من أن وجوده كان يهدد النظام الرمزي للمجتمع والقبيلة ، ثم أن قيسا كان يستعيد على الدوام قصة حبه لليلى و يرددها بشكل علني، و لم يكن هذا الأمر مقبولا في العرف الاجتماعي آنذاك، لذلك فإنّ قيسا كان خارج النظام الجماعي الذي هرب منه، والذي كان يشكل بعض الخطورة على كيانه [2]، فيقول المجنون[3]:

بلادِي لو فهِمتِ بَسَطتُ عُذري إذا ما القلبُ عَاودَهُ نزوعُ

بها الحَينُ المُتاحُ لمَن بغاهُ وجزْعٌ للغريبِ به – مريعُ

إلى أهلي الكرامِ تُشاقُ نَفْسِي فهل يوماً إلى وطني أَرِيعُ

فيشتاق إلى أهله وإلى وطنه، ويجزع من الغربة، ويحن إلى مرتعه ولكن ظروف حياته فرضت عليه التغرب.

---

(1) البناء الفني لشعر الحب العذري/250–251

(2) ينظر: وجو هعديدة لعاشق واحد اسمه المجنون/ عرض و تقديم جليل العطية، مجلة العربي، 323/ 1985/ 184 .

(3) الديوان/194.

ويتخذ من المكان رمزاً لأحبته وأيامه التي ذهبت إلى غير رجعة، فهو يحلم بالعودة إلى نجد، رمز الحب و النقاء في حياته [1]، فيقول المجنون[2]:

أحنُّ إلى أرض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر

وما نظري من نحو نجد بنافعي أجل و لكني على ذاك أنظر

أفى كل يوم عبرة ثم نظرة لعينك يجري ما ؤها يتحَّدرُ

متى يستريحُ القلبُ إما مجاور حزين و إما نازحٌ يتذكر

يقولون كم تجري مدامع عينه لها الدهر دمع واكف يتحدرُ

وليس الذي يجري من العين ما ؤها ولكنها نفس تذوب و تقطر

تتجسد ظاهرة الغربة المكانية في الشعر كثيرا ولاسيما شعر ما قبل الإسلام، فأنها تعد عاملا أساسا في ازده ار العمل الأدبي، وتألقه رغم اشتعاله بالحزن، وهي التي تمثلت بالبكاء على الديار، والوقوف على أطلالها، وأن من يقول شعراً في الغربة المكانية كان محكوما عليه بعنصر (المغادرة) لأي سبب كان جغرافيا أم سياسيا أم اجتماعيا.

وحين يغادر الشعراء أوطانهم كُرها، كانو ا يحسون بالقهر و الانكسار والحزن، لأنهم غادروا أشياء كثيرة كانت تر بطهم بهذا المكان فيغادرها الشاعر مهموما محزونا ولا يمتلك إلا الالتفات إليها بشيء من الحزن لتصوير مواقف الوداع، والالتفات إلى الحبيبة وديارها بالعين ثم القلب.

والشعراء في الغربة المكانية كانت عواطفهم والقصد من شعورهم التنفيس السريع عن النفس، وكانو ا يكثرون من شعر الغربة والحنين إلى حد أ ن بعضهم كان يخلق له وطنا ثم يحن إليه في شعره، لأن الحنين إلى جانب كونه عواطف جياشة، فإنه انتماء إلى شيء ما، لذلك نجد الكثير من الشعراء حنوا إلى (نجد)

---

(1) ينظر: الغربة المكانية في الشعر العربي/ د.عبده بدوي، مجلة عالم الفكر، مجلد 15، 1/ 1984/ 21.

(2) الديوان/ 133 .

ولم يذكروا موضعا في الشعر مثلما ذكروها، فهي عند الشعراء لم تكن غير مجرد رمز للجزيرة العربية، و للموطن النقي الأول، ورغبة منهم في العودة إلى النقاء و هذا مستحيل عليهم[1].

والمجنون يقف ويحن، و يركز على الحنين، وهو تعبير عن الاضطرابات النفسية التي تتجسد به، وهذا الحنين يكون إلى أرض الحجاز و لكن الأهم منها، والأكثر الحنين إلى الخيام التي سكنت نجدا، وقد تكون نجد رمز اً أو إشارة إلى الحبيبة، فهو يحن إلى الحبيبة ويشتاق إلى شم ريحها، وطيب لقا يها، لكنه عفة وحرصا عليها فيكني عنها بنجد، لكي يثبت تمسكه بالموطن وفا ءه له، فهو لم يحن إلى الموطن ولكن إلى سكانه وهو يؤكد ذلك بان نظره نحو نجد غير نافع، بل يريد اللقاء بها و الوصول إليها.

كما أن الشاعر يقدم العَبرة على النظرة، لأنّ عبرته تنهمل قبل أن يراها فتكون الدموع سابقة، و لكن أي دموع ؟ فهي لم تكن تجري , ولا تسيل، ولا تذرف، وإنما كان (ماؤها يتحدّر) كالشلال و انحداره بقوة و بسرعة ليس فيه ت أني أو انقطاع، فهي صورة حركية جميلة وكأنك عندما تقرأ الأبيات تتخيل صورة الدموع كصورة شلال جميل ينزل من الأعلى إلى الأسفل، ولم يقصر اللفظة على (دمع) و إنما قال (مدامع) دلالة على الكثرة، وهذا التحدر والجريان لم يكن ماءً من العين وإنما هي نفس الشاعر ذائبة وتتقطر من العيون وتنحدر بهذه الصورة لتعبر عن شوق الروح إلى الحبيبة، فهي تحن و تنحدر ولا تتوانى عنها.

ويتقطع القلب شوقا وتتوق النفس إلى أرض الوطن/ الحجاز فتنازع نفسه و تحن للعودة، تتأرجح ما بين الي أس والأمل ، فحاجة نفسَه الملحة تبعث فيه الأمل، فيحلم بالعودة ولكن الواقع يمنعه من تحقيق هذا الحلم فيخيم عليه اليأس، و يقطع أمله، فربط حنينه بإيراد الفعل (أحن) الى المكان الأم وحاجته هناك التي هي المرأة في ذلك المكان (المكان/ المر أة) بحرف العطف (الواو) حيث أشركت حاجته إلى المكان و من فيه، فيناجي نفسه و يصبرها على ما لاقته وما ستلاقيه

(1) ينظر: قضايا حول الشعر/61–74

من ألم و حزن ثم يؤنب نفسه فتزداد عنده نبره الحزن و الأسى، و كانت (همزة الاستفهام) هي الصرخة التي يريد إيصالها إلى ليلى فيطلقها من أعماقه[1]، فبدايته بالهمزة كأنما قلع الصوت جزءاً من أعماقه، لأنها أبعد الأصوات مخرجاً وعمقاً لكنها تتكسر في صدره فيختنق، فيقول[2]:

أفي كل يوم عبرة ثم نظرة لعينك يجري ماؤها يتحدر

استمرارية

عبرة + نظرة ←——— يأس/ أمل

في النص إيقاع داخلي يبرز في حرف الراء إشارة إلى الروح، وتأكيد العذريين على الجانب الروحي دون المادي، كما برزت فيه العاطفة و حدة الانفعال، ويتضح ذلك من استخدامه لحرفي (الحاء، والجيم) فهما حرفان جهريان لهما رنه قوية تعبر عن حدة العاطفة وعمقها في نفس الشاعر[3]، وهذا التنويع في الحروف والقوافي، والتنغيم الذي يستخدمه الشاعر، له أثر في نقل مشاعر الشاعر وما يعانيه القارئ أو السامع ليحس بمعاناته (فالشاعر يهتم بمظاهر التنميط الصوتي ومبدأ التناظر، اهتمامه بمظاهر الاستبدال الدلالي ولعل مبد أ التناظر سمة من أكثر السمات التي يتميز بها الشعر العربي (المسبوك) وضوحا)[4].

وتتراكم في النص الصور الحركية المنوعة بالتدريج، حيث يبدأ بالعبرة وبعدها النظرة تنهمل فيها الدموع فتجري ثم تشتد فتنحدر انحدارا شديدا، وهذا التحدر إشارة إلى شدة العاطفة المنبعثة عن شدة الشوق، فهو عندما ينظر إلى نجد والذي يعدّ معادلا موضعيا لـ (ليلى) تراه يرسم صورة مجازية يقرنها مع حال ه في هذا البيت، وهي صورة المطر فعبرته السحابة الثقيلة المحملة بالماء، و النظرة

(1) ينظر: المكان عند شعراء الغزل العذري/101.

(2) الديوان/ 133 .

(3) ينظر: عمر بن أبي ربيعة، اللهو و الجمال + د. علي شلق ، دار المدى للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 20/1985.

(4) أقنعة النص، قراءات نقدية في الأدب + سعيد الغانمي ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، بغداد 102/1991.

التي يلمحها بصرهبخطفة البرق القوية السريعة والتي بعدها يبدأ المطر يتساقط، فإذا به بعد قليل يجري ماؤها على الأرض، وبتواصل انهما ر المطر واستمراره يصبح الماء غزيرا فيبدأ يتحدر من التلال والمرتفعات إلى الأودية العميقة، وهذه صورة عميقة انتزعها الشاعر من البيئة واسقط ملامحها عليه ليصور الحالة النفسية التي يعانيها، فكان خياله بارعا في دقة التصوير، و ربطه بالواقع ليكون اقرب إلى ذه ن المتلقي، وكانت هذه صورة مجازية اشترك في نسجها (خيال خصب، و شعور مستوفر وفكر راقٍ، و هدف سامٍ كان كل ذلك سبباً في ذيوعها وبقائها بحيويتها وحركتها وصدق إيحائها) [1]، و يعود ذلك إلى عمق تجربة الشاعر النفسية و بيئته الفنية إذ (قلما برع من المعاني من لم تنشئه بقعة فاضلة ولا في الألفاظ من لم ينشأ من أمة فصيحة) [2].

الغربة الزمانية

أن العمل الأدبي يجسد الحياة فهو اقتطاع من الحياة التي تع د زماناً مستمراً مجسداً بمكان، واقتطاع أحداث تجري من الزمان، لأن الزمان متصل و مستمر، وأن تقسيماته وهمية مجرد لتفصل بين الأحداث وتدلل على مكانها من الزمن.

ويراه أفلاطون مقياساً للحركات وعددها، وهذه الحركات تقوم بها النفس، ولولا النفس لما وجد الزمان [3].

ولما كان الزمان صورة حاضرة في تفكير الإنسان كون الزمان متصلاً أم منفصلاً، فقد كان هناك تصور إنساني لدراسة الزمان عند كل من أرسطو وأفلاطون مرورا بالتصور القرآني وانتهاء ببرجسون، ونيشتيه، و هيدجر ليتضح

---

(1) الطبيعة في شعر صدر الإسلام/149.

(2) منهاج البلغاء وسراج الأدباء + حازم القرطاجني (ت 684) المطبعة الرسمية، تونس، 42/1966.

(3) ينظر:الزمان في الفكر الديني و الفلسفي القديم + د.حسام الدين الآلوسي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، بيروت، 1980/ 69 .

تصور مفهوم الزمن على نحو مثالي[1]، و يرتبط بالوجود الانساني و يكون مرادفا له[2].

أما الحاضر، فهو (نهاية الزمن الماضي و بدء للزمن المستقبل)[3]، وسمي الآن وقيل عنه (الآن جزء من الزمان وهو مختلف عن سائر ألازمان بأنه غير منقسم، ومع انه يفصل بين الماضي والمستقبل وهو ينسب لكليهما، و إلا لما كان الزمان متصلا، فالآن نهاية أو بدء للزمان) [4]، فتبرز من الزمان بمفهومة ثنائيات متعددة توحي بها هذه اللفظة منها (الوجود/ العدم، الحضور/ الغياب، الماضي/ الحاضر، الحاضر/ المستقبل، الماضي/ المستقبل، الثبات/ التحول، الحركة/ السكون).

وعند دراسة شكوى العذريين من الزمن لابد من معرفة علاقتهم به، لأنّ الشاعر العذري شك ا منه ومن تأثيره عليه وعلى حكاية وتجربة عشقه الباطنية والتي يمكن إدراكها من خلال دراسة (مركب الزمن) [5]، الذي يتألف من الماضي والحاضر والمستقبل[6].

وللزمن عند الشاعر العذري صورة مؤثرة حيث يذكّره بماضيه السعيد الذي قضاه، وبحاضره التعيس الذي يحاول الهروب منه باللجوء إلى الماضي، ومن ثم من خلال رؤيته للحاضر نجده يخاف المستقبل (فكان حاضر الماضي متوهجا في

---

(1) ينظر: الزمان الوجودي/10 و 100 .

(2) ينظر:الزمن في شعر الرواد +سلام كاظم الالوسي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 6/1990 .

(3) شعر الحب في العصر الأموي/52

(4) الزمان في الفكر الديني و الفلسفي القديم/94 .

(5) الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة + سعد عبد العزيز، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ط2، 1970/ المقدمة (ا) .

(6) ينظر: شعر الحب في العصر الأموي/ 53 .

ذهنه، و حاضره الحاضر يغمر قلبه بالأمنيات، وحاضر المستقبل يتموج بين هذه الثنائية محققا له طموحه في الوصول إلى الغاية المنشودة – الظفر بالحبيبة) [1].

إنّ أول إشارة للزمن عند الشاعر العذري هي الأطلال وقد برع كثير عزة في وصف الطلل حتى تفوق على أستاذه جميل في هذا المجال[2]، فكثير إما يقف يتأمل تقادم الزمن والأمطار، ولعبة الرياح وما فيها من حركة دورية، حيث غيرت آياتها ومعالمها، ورسومها، وآنائها، وكيف تنكرت آيتها بقدم العهد، وبما مر عليها من الظروف الطبيعية، فأصبحت دارسة المعالم كالأحواض الواسعة التي درست وحال عليها حول كامل[3]، فيقول[4]:

عرِّجْ بأطرافِ الدّيارِ وسَلِّمِ وإنْ هي لم تَسْمَع ولم تتكلَّمِ

فقد قدُمَتْ آياتُها وت نكَّرتْ لما مرَّ منْ ريحٍ و أوطف مُرْهِمِ [5]

تأمّلْت من آياتُها بَعدَ أهْلها ب أطرافِ أعظام فإذنابِ أزنُمِ [6]

محانيَ آناءٍ ك أن دُروسَها دروسُ الجوابي بَعدَ ح ولٍ مجرَّمِ [7]

ولعل شاعر الغزل العذري إنما لجأ إلى الماضي وأبتعد عن حاضره، بدافع الهروب من حياته الحاضرة ليسعد بلحظة من لحظات ماضيه، وهو بهذا يحاول ان يعيش دنيا غير دنياه، يخلقها لنفسه، ويتكيف معها، فهو لا يجد لنفسه سبيلا في التكيف مع الحاضر ومع الواقع المؤلم.

---

(1) شعر الحب في العصر الأموي/55.

(2) البناء الفنى لشعر الحب العذري/251 .

(3) كثير عزة، حياته و شعره، 203 .

(4) الديوان/333 .

(5) أوطف: الذي دنا من الأرض لكثرة مطره، المرهم: السحاب الذي يرسل الرهمه وهي المطر الدائم دون الشدة .

(6) اعظام و ازنم: موضعان على ثمانية أميال من المدينة .

(7) آناء: جمع نوى وهي الحفيرة حول الخيمة، الجوابي: الأحواض، حول مجرم، عام كامل.

فالوقوف على الطلل هو وقوف على مكان، لكن هذا المكان فعل الزمان فعله فيه، فظهرت على آياته ومعالمه رسوم الزمان، وإشاراته، فيربط الشاعر بهذا الوقوف بينه وبين فعل الزمان، وما يتغير من معالمه، وما أصابه من كدمات وآهات بفعل الزمان، وبين الطلل المشابه له في حالته، فهو رد على فعل نفسي لغدر الزمان به، لذلك فان الطلل عند الشاعر العذري هو طلل نفسي وليس حقيقياً، وهو (شعور دائم بالقهر المفروض والفقد الدائم في وجدان الشاعر نفسه، ولا أمل للشاعر في أن يخلفه وراءه متطلعا إلى حياةٍ آهلةٍ، لكي يعود إليه يوما فيبكيه على سبيل الوفاء، والذكرى، كما كان يفعل الشاعر الجاهلي)[1].

وهكذا (عاش الشاعر العذري يستعيد الماضي بذكرياته الشخصية ليداوي جراحات الحاضر المؤلم وقلقه، و خوفه من الآن، لأنّ الزمان عنده توقف دون حركة، والشعور الآن لا يتم حقا إلا في حالة القلق الهائل)[2].

فالطلل يحمل هاجسا زمنيا في الوجدان الإنساني، والشاعر في لوحاته الطللية يعبر عن حالة الإحساس بالتلاشي، لأنّ الطلل يُشعرهبأنه لاشئ يحقق له ألامان الذي يصبو إليه ويحاول إيجاده في سؤالهوحيرته كما يحمل طابع القدسية والانتماء لهذه الديار، لذا يشاركه في الوقوف أصحابه وخلانهوالذي يوحي بالحركة لوجود الأفعال التي تؤكد إشارتها إلى الماضي في المقدمات الطللية، مثل (قِفا،وعوجا، وعرجا وقفنا) فيحاول استنطاق الديار مع إنها لن تجيب حيث ينفي تكلمها، و سمعها للكلام.

ونجد في الأطلال ولآثارة حركة الزمان حالة يريد الشاعر بها إثبات وجدانه، وذاته وصدقه في إحساسه بغدر الزمان و آثاره على الديار عامة، وفي نفس الشاعر خاصة، فالوقوف عند كثير جماعي في أبياته السابقة، والتسليم جماعي على الديار وعلى رسوم عاشتها جماعة ومعها الشاعر، لكن الإحساس بالأطلال وما تهيجه في النفس هو إحساس فردي، فهناك تمايز عن الجماعة في

(1) في الشعر الإسلامي والأموي/103.

(2) شعر الحب في العصر الأموي/60.

الإحساس و التخيل، يقدمه الشاعر من خلال وجدانه يتعاطف الطلل معه إذ تجده يذكر أن الدمن كادت تعرف صورته دون غيره، وهذا يعكس مدى تعاطفه مع المكان و إحساسه بالانتماء إلى الديار[1]، و الشعور بما أحدثه الزمان بها فكذلك الشاعر عفا عليه الزمان و نال من جوانبه، كما وجدناه عند كثير عزة، الذي يقول[2]:

ولي كبدٌ قد بَرّحتْ بي مَرِيضَةٌ إذا سُمتُها الهجرانَ ظلتْ تَصدّعُ

(فأصبحتُ مما أحدثَ الدهرُ خاشعاً وكنتُ لريبِ الدّهرِ لا أتخشعُ)

وعروةُ لم يلقَ الذي قد لقيتُهُ بعفراء والنّهْديُّ ما أتفجعُ

ويستغل الشاعر في الطلل الزمان الباطني، فيقيم علاقة دم بينه وبين من كانوا في الطلل، وهو بهذا يربط بين ماضيه و ماضيهم، و بهذا الربط استطاع أن يتحدث عن الوجود الإنساني[3]، الذي يدلل عليه في قصائده وهذا الوجود يثبت الحقيقة العشقية للشاعر و الحب الصادق الضعيف الذي يعيشه، ولكن (يهدد هذا الحب الناعم بالمصير الأليم الذي يخضع له كل ما يخضع للزمان والمكان)[4]، فهو حب موثق بزمان و مكان، كما قال فيه كثير [5]:

لِمَن الديارُ ب أبرقٍ الحنّانِ فالبُرقِ فالهضباتِ من أُدمانِ

أقوَتْ منازِلُها وغيّر رَسمَها بعدَ الأنيسِ تعاقبُ الازمانِ

فوقفتُ فيها صاحبيّ وما بها يا عزَّ من نَعَمٍ ولا إنسانِ

---

(1) ينظر: الرؤيا في شعر ذي الرمة/19–20 .

(2) الديوان/ 405 .

(3) ينظر: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي/ د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، مطبعة وزارة الأوقاف (د. ط)، 1974/ 161 .

(4) البنية اللغوية في الشعر العربي العاصر/55 .

(5) الديوان/423 .

إلاّ الضّباءَ بها ك أنّ نزيبَها ضَرْبُ الشّراعِ نواحيَ الشّريانِ

والطلل دلالة على الوجود المكاني،والأثر والوجود الزماني فيه (ومن ليس له طلل ليس له وجود في المكان ولا في الزمان، إن هذا الطلل يظل ينمو في داخل الإنسان حتى يحين وروده فيدخل فيه دون صدوره، و لكن حين تترك علامة على قبر الإنسان بعد موته، يترك الشاعر قصيدة تأخذ مادتها من الطلل و تتحول هي نفسها إلى طلل لشعراء آخرين)[1].

فالقصيدة الطللية لا تكن طللاً لشاعر فقط، و إنما له ولجماع ة أخرى عاشت الفترة نفسها وقد (عانى جميع شعراء الحب من هذه الحالات الشعورية واللاشعورية، وكان يشعر بتباطؤ الزمن الحاضر و بسرعة حركته نحو الماضي الذي تخزنه الذاكرة)[2].

ويعتز الشاعر بالمكان و الزمان معا لأنهما جزءٌ منه وهو جزء منهما فينسب تلك الأيام الماضية والمكان الذي كانت تعيش فيه الى نفسه، والى حبيبته بثينة، وهذا يدل على الترابط والالتصاق (الزمان/ المكان) فلم يستطيع أن يحن إلى أحد طرفي الثنائية دون الآخر ، لأنّ العلاقة بينهما علاقة جدلية صميمية إذ كل منهما لا يكون بدون الآخر فلم يكن حنينه إلى المكان دون الزمان، ولا الزمان دون المكان، حيث كشف عن تواصل زمني معه [3]، فاستخدم ألفاظ الزمان في سياق يخدم التجربة العاطفية التي يعالجها شعره، وكثيرا ما يبدي الشاعر نزوعا وحنينا إلى الماضي الذي ا ستقر في الذاكرة، ومع ألفاظ الزمان يستخدم ألفاظ المكان أيضا، ومنها ألفاظ البيئة (المكان/ والحيوان) فقد أوردها لخدمة تجربته العاطفية[4]،

(1) الكلمات و الأشياء، التحليل البنيوي لقصيدة الإطلال في الشعر الجاهلي، دراسة نقدية/ د.حسن البنا عز الدين، دار المناهل للطباعة و النشر – بيروت ط1، 163/1989.

(2) شعر الحب في العصر الأموي/57 .

(3) ينظر جماليات المكان/ جماعة من الباحثين، دار قرطبة ط1، 22/1988.

(4) ينظر: البناء الفني لشعر الحب العذري/74-75.

فيبرز هنا التأثر الحسي بالبيئة فيستعير مما يعيش في البيئة من حيوانات ونباتات، و يحدد لها زمنا معينا.

أما كثير عزة، فيصف حاله المتأزمة التي كانت صفة بارزة في إشعار العذريين فيحاول إن يلقي اللوم على الشوق الذي هيج في نفسه الذكرى، فيقول[1]:

أَلِلشّوقِ لمَّا هَيّجَتكَ المنازلُ بحيثُ التقتْ من بَيْنَيْنِ الغياطلُ

تَذكّرتَ فانهَلّتْ لعَيْنِكَ عَبْرَةٌ يجودُ بها جارٍ من الدَّمعِ وابلُ[2]

ليالِيَ منْ عَيشٍ لهوْنا بوجْهِهِ زمانًا و سُعدى لي صديقٌ مواصِلُ

نجد في النص اقتران الذكرى بالمنازل والأطلال ، وهذه المنازل تهيج الشوق، فتنهمل الدموع والعبرات، فالدموع مقترنة بالذكريات فإذا لم يكن هناك ماض، ولا ذكريات لا تكون دموعا ولا شوقا ولا سعادة في اللقاء وطلبه. فالشاعر يهرب من الحاضر إلى الماضي عن طريق هذه الذكريات (ولا يمكن للشاعر أن يرى الحاضر إلا من خلال المكان والناس و من خلال عمر هومدى تجربته في الماضي و تصوره للمستقبل)[3].

فالشاعر يرى في الزمن جانباً سلبياً، وجانباً ايجابياً، و الحاضر بالنسبة للشاعر العذري سلبي لأنه يقف ضد الشاعر، فيكون الشاعر في حاضره بين حنينٍ وشوق إلى الماضي، فالشاعر (لا يتحدث عن الزمن الماضي الا في مجال التذكر وهذا يعني أن الإنسان لا ينتبه إلى الزمن إلا حين يدرك أن تغيرا طرأ على حياته ويكون هذا التغير في الغالب نحو الاسوأ) [4]، وخوف من المستقبل، فلذلك

---

(1) الديوان/293 .

(2) وابل: المطر الغزير .

(3) الزمن عند شعراء العرب قبل الإسلام + عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، 249/1986 .

(4) الزمن في الشعر الجاهلي + عبد العزيز محمد شحادة، مكتبة حمادة للخدمات والدراسات، أربد، الأردن، (د.ط)، (د.ت)/ 66 .

نجده يلجا إلى الماضي فيذكر الأفعال الماضية (تذكرت، انهلت) لتبين تعلقه بالماضي، فالزمن الماضي هنا إيجابي بالنسبة للشاعر، لأنه استطاع أن يلوذ به، و يلجا إليه من وط أة الحاضر، وخوف المستقبل ، لأن (المستقبل عند الشاعر العذري غائم لا يأمل فيه كثيرا لأنه لا يعرف ما يخبيء له)[1].

من هنا لا يمكن الفصل بين الزمان والمكان، فالزم لكانية عنصر مهم في تجسيم الشكوى، والإنسان شاعر أم غير شاعر،لا يحن ولا يتذكر الزمان والمكان إلا إذا كانت الأحداث التي يتذكرها متسلسلة منسقة في ذهنه غير مشوشة، فالعقل يبرمجها ويأتي أمام العين من ذكرياته بما هو مناسب مع الحدث، واسترجاع الذكريات (لا يكون ... سهلاً و طيعا ما لم تكن هذه المعلومات منسقة، وغير مشوشة في الذهن، وما لم يكن الانطباع الأصلي الذي يعكسه الشيء في أذهاننا قويا)[2].

نتائج البحث

- ارتبط الشاعر بالأرض ارتباطا عميقا، فلا يحس معنى لحياته إلا في أحضانها، وعلاقته بالأرض علاقة ارتباط جدلية، فهي تحن عليه وتضمه لذا يحس بالانكسار، وفقدان التوازن والحزن الشديد حينما يضطر إلى مغادرة وطنه فيشكو من الغربة، والوطن عنده الحبيبة والأهل والذات قبل كل شيء فابتعاده عنه ضياع بالنسبة له.
- اكتسب المكان لدى شعراء الغزل العذري أهمية في العصر الأموي تأتي من أهمية ومنزلة من سكنه، فله إبعاد ودلائل تنتقل من مفهومه العام إلى الخاص لأنه يمثل عنده دلالة المرأة التي تعد مصدر الأمان والعطاء والحنان والحب والتي يهرب إليها من الحاضر، ودلالة الصبا والشباب، فمع كونه طلل لكنه

(1) الزمن في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي+ أمل طاهر نصير، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مجلد 29، 2/حزيران/531/2002 .

(2) علم النفس المعاصر+ حلمي المليجي، دار النهضة الجامعية القاهرة، ط6، 249/1984.

يرمز به للحياة لأنه يرى الحياة فيه والتي شكلت له مرحلة الطهارة والنقاء والابتسامة الصافية الهادئة.

- إحساس الشاعر العذري في العصر الأموي بالطلل هو إحساساً نفسياً وليس وجودا ماديا وإنما يعبر عن قلق نفسي وتعلق بمكان وزمان العشق والشباب.
- شكا الشاعر العذري من الزمان وأعطاه جانبا سلبيا وايجابيا، وهذه الشكوى لم تكن مجردة وإنما كانت مقترنة بالمكان للعلاقة الوثيقة بينهما.
- استعمل الشعراء العذريون عملية الإرجاع الزمني في شكواهم محاولة منهم للتخلص من واقعهم المؤلم والعيش في ظل الذكريات الجميلة.

The وَالِهُونَ Poets of Bani Umayia's Complaints of Spatial-Temporal Alienation

Prof. Rafe'aa S. Hussein Al_Sarraj Sukkara Ali I. K. Al-Joboori()*

Abstract

The research investigates the state of spatial-temporal complaint that the platonic poets of Bani Umayia had. Given the importance that this study holds on artistic semantics, the research was divided into two main sections:

1- Temporal alienation and its influence in revealing the platonic poet's psychological dilemma as he suffers from what time has done to him. Time in literature is presented as "Humane time", thus the psychological suffering of the poet is clearly felt.

2- Spatial alienation is the section that tries to explain the spatial information associated with it, and tries to identify the boundaries that the poet has set for himself in his poetry, both semantically and pragmatically within the structure of the poem. In this sense, place turns, by means of meaning and symbols, into a concentration of values and social reality and reveals the extent of the poet's interactivity with his society.

(*)Dept. of Arabic / College of Education/ University of Mosul